الصبر فى القرآن الكريم

دكتور / حماد وهبه على جرابات
مدرس التفسير بالكلية

كلمة الصبر تلوكها جميع الألسنة ، وتنطق بها الشفاة ، وجميع البشر يعرفون تلك الكلمة ويدركون مدلولها . ومدلولها : (الوثوق بحكم الله ، والثبات من غير بث ولا استكراه) . [١]

والصبر باعتبار حكمه ينقسم إلى أقسام كما يقول الإمام الغزالى : (أعلم أن الصبر أيضا باعتبار حكمه ينقسم إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم .

فالصبر عن المحظورات فرض ، وعلى المكاره نفل ، والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقع يده أو يد ولده ، وهو يصبر عليه ساكتا ، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم،والصبر المكروه : هو الصبر على أذى ينالـه بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغى أن يخيل اليك أن جميعه محمود ، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة) . [٢]

ولقد جعله الله سلوك الرسل ، وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون " . [٣]

لقد أمر الله تعالى رسوله بالصبر على أذى قومه ، كما صبر إخوانه من قبله ، فكان كل رسول يأتى قومه فيلقى العنت والصد ، وهذا دأب بنى البشر قال

---

[١] الفتوحات الإلهية للجمل جـ٤ ص ١٣٨ . مطبعة عيسى البابى الحلبى .
[٢] إحياء علوم الدين جـ٤ ص ٦٧ . مطبعة عيسى البابى الحلبى .
[٣] سورة الأحقاف آية ٣٥ .

تعالى :﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على ءاثارهم مقتدون ﴾ . (١)

هذا هو سلوك الأقوام تجاه رسلهم فأمرهم الله بالصبر ، وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن يصبر كصبر هؤلاء ، وأن لا يلبي طلبهم باستعجال العذاب قال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴾ (٢) .

فنهى عن استعجال العذاب لهم فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ (٣) .

فهذا تبليغ من الله فلا يهلك إلا هؤلاء القوم الذين خرجوا عن طريق الفطرة وهو التوحيد . ولقد أمر الله – تبارك وتعالى – المؤمنين بالصبر . قال تعالى : ﴿ يأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (٤) .

يناجي الله- تعالى – المؤمنين ويأمرهم بالصبر على أداء الطاعات ، وتحمل المشاق ، في الكف عن المعاصي على صبر الدهر (وصابروا) هذا الفعل يدل على المفاعلة من طرفين ، وهما أن أعداء الله يصبرون على مدافعة الإسلام ، ومن جانب المؤمنين يصبرون من أجل هذا الدين ، فلا يكون الكفرة أشد صبرا من المؤمنين ، ثم أمر بالمرابطة (ورابطوا) وهي أن المتخاصمين يربط كلاهما خيله وهما في استعداد للقتال ثم أطلق على القائمين بالثغر يدفعون من يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ﴿ واتقوا الله ﴾ في كل أحوالكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكي تفوزوا في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالجنة والنجاة من النار .

---

(١) سورة الزخرف آية ٢٣ .

(٢) سورة ص آية ١٦ .

(٣) سورة الأحقاف آية ٣٥ .

(٤) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

أنواع الصبر فى القرآن الكريم :

للصبر أنواع : فهو إما أن يكون صبرا على أداء الطاعات ، وإما أن يكون على مدافعة النفس والغرائز ، فيكون كفا عن المعاصى ، وإما أن يكون على نوائب الدهر .

١ - الصبر على آداء الطاعات :

عندالقيام بآداء الفرائض التى فرضها الله تعالى وعند التطوع بالنوافل يعترى الإنسان التعب والضعف ، ولقد بين الله تعالى هذا الموطن فقال تعالى:﴿ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ [١]

هذه الآية وردت فى معرض الحديث عن قارون وسلوكه ، قال الذين أعطوا العلم بالله وبالتوراة ناهين زاجرين الذين تمنوا حياة الترف التى كان يحياها قارون : ﴿ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ [٢] .

لقد تمنى أهل الدنيا مثل ما لقارون من المال ، فهب العالمون يزجرونهم (ويلكم) وهذه الكلمة دعاء بالهلاك ثم استعملت فى الزجر .

﴿ ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ﴾ جزاء الله والمنزلة الرفيعة التى أعدها الله للمؤمنين العاملين الذين صبروا على عمل الطاعات خير لهم من زينة الدنيا .

---

[١] سورة القصص آية ٨٠ .

[٢] سورة القصص آية ٧٩ .

﴿ ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ هذه المكانة التى دأبوا على أداء الطاعات من أجلها فذاقوا التعب من أجل المداومة عليها ، وآثروا الصبر فى ظل العناء والمشقة عن الانقطاع عنها لا يلقاها إلا الصابرون .

٢ - الصبر على كف النفس عن المعاصى :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ، وغرس فى فطرته الغرائز التى تدفعه إلى النشاط المختلف ، الذى يحفظ حياته ، وجنسه ، وأهله ، وقد جاء القرآن ليهذبها ويدفع بالإنسان إلى المسار الصحيح ، الذى ارتضاه الله تعالى ، فحين يطبق منهج الله يدافع غرائزه ، وشيطانه ، فيلقى تعبا ومشقة فتصير على هذا ، وهذا النوع قال الله تعالى فيه: ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [١] .

فهنا أمر من الله - تعالى - بمقابلة السيئة بالحسنة ، وفى هذا كظم للغيظ ومنع النفس من الانتقام لنفسها ، وفيه مشقة على النفس ، والصبر على هذا له ثواب ومنزلة عند الله تعالى ، ولا ينالها إلا الصابرون ، الذين حبسوا أنفسهم وكفوها عن الانتقام .

ويظهر هذا النوع من الصبر فيما يأتى : قال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [٢] .

وهذا أمر من الله - تعالى - يوجه فيه التائقين إلى النكاح ، ولم يتيسر لهم وجود الأنثى لفقر وغيره . وجههم إلى الصبر ، والعفة ، وكف النفس عن المعاصى حين يلح داعى الشهوة ، فمن صبر وأبى المعصية فله الثواب ، ومع نهاية الصبر يكون الغنى من الله تفضلا على العبد فينكح ما شاء .

---

[١] سورة فصلت آية ٣٤ ، ٣٥ .

[٢] سورة النور آية ٣٣ .

ويفسر هذا قول الله تعالى : ﴿ ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وءاتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ﴾ (١) .

لقد جوز الله – تعالى – لغير المستطيع لنكاح الحرائر ، نكاح الأمة التى توافرت فيها الشروط من الإحصان ، والعفة ، والصلاح إذا خاف المسلم الزنا والعنت . فمن صبر على عدم النكاح مع العفة وكف نفسه عن المعاصى وجد ربا غفورا للذنوب ، رحيما بالخلق فالأفضل الصبر عن نكاح الإماء ، حتى لا يصير ولد الرجل إلى الرق مثل أمه.

٣ – الصبر على البلاء :

الإنسان معرض فى حياته لكثير من البلايا ، ونوائب الدهر ، التى تنزل به فى نفسه ، وولده ، وأهله ، وماله ، فعوادى الدهر تصول عليه فما عليه إلا أن يتسلح لها بسلاح الصبر ، قال تعالى:﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (٢) .

قد ساق الله تعالى الآية الأولى مقترنة بالمؤكدات ، بأن الله يختبر عباده فى إيمانهم بقليل من الخوف من أعدائهم ، ويذيقهم الجوع فى فترات مختلفة ، وقد يبتليهم فى أموالهم بإنقاصها ، وقد يبتليهم فى زروعهم وثمارها فتصيبها الآفات ،

---

(١) سورة النساء آية ٢٥ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٥ ، ١٥٦ .

ثم أمرهم بالصبر من طريق خفى من قوله (وبشر الصابرين) ، وقد أفـــادت هـــذه الآية أمورا :

أحدها : أن يوطنوا أنفسهم – أى المخاطبون – على تقبل هذه المصائب وتحملـها إذا ما نزلت بهم .

وثانيها : أنهم إذا علموا أنه ستصل إليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيصير ذلك الخـوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون به مزيد الثواب .

وثالثها : أن الكفار إذا شاهدوا الرسول – صلى الله عليه وسلم وأصحابـــه مقيميـــن على دينهم ، مستقرين عليه ، مع ما كانوا عليه من نهاية الضر ، والمحنـــة ، والجوع ، علموا أن القوم إنما اختاروا هـــذا الديـــن لقطعـــهم بصحتـــه ، فيدعوهم ذلك إلى مزيد التأمل فى دلائله ومن المعلوم الظاهر أن التـــابعين إذا عرفوا أن المتبوع فى أعظم المحن – بسبب المذهب الذى ينصره – ثم رأوه بعد ذلك مصرا على ذلك المذهب كان ذلك أدعى لهم إلى اتباعه عما إذا رأوه مرفه الحال لا كلفة عليه فى ذلك المذهب .

ورابعها : أنه تعالى أخبر بوقوع ذلك الابتلاء قبل وقوعه المخبر به على وفـــق مـــا أخبر به القرآن من معجزات القرآن ، لأنه إخبار بالغيب .

وخامسها : أن من المنافقين من أظهر متابعة الرسول – صلى الله عليـــه وســـلم – طمعا منه فى المال ، وسعة الرزق ، فإذا اختبره الله – تعالى – بنزول هـــذه المحن فعند ذلك يتميز المنافق عن الموافق ، لأن المنافق إذا سمع ذلك نفـــر منه ، وترك دينه ، فكان فى هذا الاختبار الفائدة .

وسادسها : أن إخلاص الإنسان حالة الابتلاء ورجوعه إلى باب الله تعالى أكثر مـــن إخلاصه حال إقبال الدنيا عليه فكانت الحكمة فى هذا الابتلاء ذلك . [1]

وأقول : أفادت هذه الآية أمرين فوق هذه الأمور :

---

[1] مفاتيح الغيب جـ٢ ص ٣٨ المطبعة العامرية الشرقية سنة ١٣٢٤ هـ .

أ) أن الله رحيم بعباده حيث قال (بشئ) وهذا على القلة .

ب) أنه لا ينبغى أن يشكو المسلم بلواه ، بل يتقبلها بصبر ورحابة صدر .

السر فى ابتلاء الله تعالى للعباد :

يبتلى الله الخلق لحكم سامية منها :

١ - يبتلى الله الخلق لتميز المؤمن من المنافق قال تعالى : ﴿ آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ﴾ [١] .

وللآيتين سبب نزول (أخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى فى قوله تعالى : ﴿ آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ﴾ قال أنزلت فى أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة أن لا يقبل منهم حتى يهاجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فتبعهم المشركون فردوهم ، فنزلت هذه الآية ، فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا ، قالوا نخرج فإن أتبعنا أحد قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ، فمنهم من قتل ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم : " ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم " وأخرج قتادة : قال : أنزلت " آلم أحسب الناس " - روى مثل ذلك - وأخرج ابن سعد بن عبدالله بن عبيد عن ابن عمير قال : نزلت فى عمار بن ياسر كان يعذب فى الله " أحسب الناس " الآية ٢ .[٢]

ولا تعارض بين هذه الروايات فلم يكن بين هذه الروايات راو شهد سبب النزول وعليه يمكن القول بأن هذه الآية نزلت عقيب هذه الأسباب مجتمعة وتفسير هذه الآية :

---

[١] سورة العنكبوت آية ١ ، ٣ .

[٢] أسباب النزول للسيوطى ص ١٣٢ ، ١٣٣ مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر سنة ١٩٦٣ .

ينكر الله سبحانه وتعالى على عباده ظنهم أنهم يسلمون من البلايا فى الدنيا وأنهم لا يختبرون فى حياتهم ، فالاستفهام للتوبيخ ، ويجوز أن يكون للتقرير وهو لا يقتضى جوابا .

فإن الله تعالى يبتلى عباده حتى يتميز من آمن بلسانه ، وقلبه من الذى آمن بلسانه دون فؤاده ، فالله تعالى يختبر الناس لهذا .

" وهم لا يفتنون " جملة حالية من الناس ، ثم يسليهم بذكر سنته مع المؤمنين به فى كل عصر سلف بأنه ابتلاهم ليتميز للناس الذين صدقوا بموافقة ألسنتهم لقلوبهم ، ويتميز الكاذبون الذين ادعوا الإيمان بقلوبهم ، وعبر بالفعل الماضى وهو لا يدل على الدوام والثبوت ، لأن الآية نزلت فى قوم كانوا قريبى عهد بالإسلام ، ودل اسم الفاعل على ثبوت ورسوخ الكذب لدى الكاذبين ، فالبلاء سنة الله تعالى فى خلقه على مر الزمان . عن خباب بن الأرت (يقول أتيت النبى – صلى الله عليه وسلم – وهو متوسد بردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم،أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه،فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه،وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله،زاد بيان والذئب على غنمه) [1] .

٢ – لو أمعن العبد بفكره الثاقب يجد نعم الله تعالى تغمره ، فى كل مرحلة من مراحل تطوره ، منذ كان نطفة ، وتستمر معه فى الآخرة ، وأما البلاء أيضا فهو نعمة فالمؤمن يداوم على الشكر المأمور به فى قوله تعالى :﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾[2] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب مالقى النبى – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المشركين بمكة جـ٥ ص ٥٦ ، ٥٧ مطبعة دار الشعب .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٣ .

ولقد أمره الله تعالى بالصبر فى مواطن متفرقة من القرآن الكريم ، لا تخفى على أحد ، فإذا شكر العبد المؤمن على النعمة ، وصبر على النقمة فقد كمل إيمانه . يقول الفخر الرازى فى العلاقة بين الآيتين (أنه تعالى أنعم أولا فأمر بالشكر ثم ابتلى وأمر بالصبر ، لينال الرجل درجة الشاكرين ، والصابرين ، معا فيكمل إيمانه) [١] .

٣ – إن الجهاد فى سبيل الله له شرف كبير ، والجهاد لا يكون فى كل زمان ومكان وأيضا فقد يفوت كثيرا من الناس ، فيبتلى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فيصبرون فينالون مثل أجور المجاهدين ، قال تعالى : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ . [٢]

وتفسير هذه الآية :

ولنختبرنكم بالأمر بالجهاد ، وهو شاق على النفس ، لأن المؤمن قد لا يرجع إلى أهله منه ، ولنختبرنكم بالبلاء فى الأنفس ، والمال والثمرات حتى يتميز المجاهدون والصابرون من غيرهم فيقع ويتحقق ما علمه الله تعالى(ونبلو أخباركم): أى تظهر أخباركم من طاعتكم وعصيانكم ، يقول الحافظ ابن كثير (وقوله : " ولنبلونكم " أى ولنختبرنكم بالأوامر والنواهى " حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم " أى حتى نعلم واقعا وحاصلا ما علمنا أزلا أنه سيقع ويكون ، ولهذا يقول ابن العباس فى مثل هذا : إلا لنعلم – أى لنرى) [٣] .

فالصبر يعد جهاد الذين عز عليهم هذا الشرف ، فينال الصابرون أجر المجاهدين ، (عن يحيى بن يعمر أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أنها سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الطاعون فقال : كان عذابا يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، ما من عبد يكون فى بلد يكون فيه ويمكث

---

[١] مفاتيح الغيب جـ ٢ ص ٣٨ للرازى المطبعة العامرية الشرقية سنة ١٣٢٤ هـ .

[٢] سورة محمد آية ٣١ .

[٣] تفسير ابن كثير مجلد ٧ ص ٣٠٤ دار الشعب سنة ١٩٧١ م .

فيه لا يخرج من البلد ، صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان له مثل أجر الشهيد) [١] .

٤ – لو لم يبتل الله تعالى المؤمن ما عرف حلاوة النعم التى يمده الله بها مع كل دقة قلب ولمحة طرف .

سلوك المبتلى :

لقد أوضح القرآن الكريم السلوك الذى يسلكه المبتلى ، وهو أنه يحمد الله ويحتسب ، ويسترجع ، قال تعالى:﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[٢]

فالإنسان يعيش حياته تغمره نعم الله الظاهرة والباطنة ، فإذا أعترته آلام أو ألمت به نازلة ، فعليه أن يذعن لله ، ويرضى ، ويحمد الله تعالى ، فإنه إن أبى وجزع فليس له مخرج من كون الله تبارك وتعالى:﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾[٣] .

فالآية التى معنا تصف الصابرين إذا ألمت بهم سيئة ، سواء أكانت من قبل الله تعالى ، أم من قبل العباد كان ردهم ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ إقرارا منهم بالملكية لله ، وأنه لا حكم لهم بل الحكم له ، وإقرارا منهم بأنهم هالكون وراجعون إليه يجازيهم على بلائهم ولا يبقى إلا هو ويدل هذا على رضاهم بما وقع ، وسيقع فى المستقبل وهذا يعد منهم تسليما يقول صاحب المنار ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ أى قالوا هذا القول معبرين به عن حالهم ، ومقتضى إيمانهم ، وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة ، على أن يحفظوها حفظا ، أو

---

[١] صحيح البخارى كتاب الدعوات باب قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا جـ٨ ص ١٥٨ .

[٢] سورة البقرة آية ١٥٦ .

[٣] سورة الرعد آية ٤١ .

يلفظوها لفظا ، وإن كانوا لا يعقلون لها معنى ، وإنما المراد التلبس بمعناها ، والتحقق فى الإيمان فإنهم من خلق الله وملك الله ، وإليه يرجعون ، فهو الذى بيده ملكوت كل شئ ولا يفعل إلا ما سبقت له الحكمة ، وارتضاه النظام الإلهى ، المعبر عنه بألسنة ، بحيث ينطق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنى ، وتمكنه من النفس ، فأصحاب هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر ، إيمانا ، وتسليما ، بحيث لا يملك الجزع نفوسهم ، ولا تقعد المصائب هممهم ، بل تزيدهم ثباتا ،ومثابرة ، فيكونوا هم الفائزين) [١]

وغالبا عند نزول البلاء تتحرك العواطف ، فمثلا عند فراق الولد أو الوالدين أو عزيز تزرف العيون الدمع ، ويعترى المصاب الحزن ، فإن هذا أمر عادى للإنسان وله فيه ثواب إن احتسب ، وحمد الله ، واسترجع ، ولا يتنافى هذا مع الصبر والرضا (عن أسامة بن زيد أن ابنة رسول الله ﷺ أرسلت إليه وأنا معه وسعد وأحسب أبيا أن ابنى أو ابنتى قد حضر فأشهدنا . فأرسل يقرئ السلام فقال : قولى لله ما أخذ وما أعطى وكل شئ عنده إلى أجل " فأرسلت تقسم عليه فأتاها ، فوضع الصبى فى حجر رسول الله – ﷺ– ونفسه تقعقع ، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد : ما هذا ؟ قال : إنها رحمة وضعها الله فى قلوب من يشاء وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) [٢] .

فالقلب بيد الله ، والإنسان غالبا لا يستطيع التحكم فى عواطفه، وفى دمعه وهذا لا ينقص من الأجر إذا كان المبتلى راضيا بالقضاء ، صابرا على البلاء ، (عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ " ولد الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم فذكر الحديث قال أنس : لقد رأيته يجود بنفسه بين يدى رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال : " تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، إنا بك يا إبراهيم لمحزنون ") [٣] .

---

[١] تفسير المنار للسيد رشيد رضا جـ٢ ص ٣٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٧٣م

[٢] سنن أبى داود كتاب الجنائز باب ما جاء فى البكاء على الميت جـ٣ ،ص١٩٣،ط.دار الفكر .

[٣] نفس المرجع السابق .

ولم يترك الرسول الأسوة للأمة تضطرب عواطفها ويطرق مشاعرها الجزع بجانب وسوسة الشيطان عند البلاء بل أرشدها إلى السلوك المثمر فالإنسان يملك نفسه عند الصدمة الأولى ويصبر (عن أنس قال : أتى نبى الله ﷺ على امرأة تبكى على صبى لها فقال لها : " اتقى الله و اصبرى " فقالت : وما تبالى أنت بمصيبتى ؟ فقيل لها هذا النبى ﷺ فأتته فلم تجد عنده بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك فقال : " إنما الصبر عند الصدمة الأولى أو عند أول صدمة ") [١] .

هذا هو الإرشاد الذى ترشد إليه الآية ويفسره الرسول ﷺ أما الجازع الذى أبى قضاء الله ولطم الخدود وشق الجيوب فإنه يجرى عليه القضاء وليس له ثواب من الابتلاء . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من حلق ومن سلق ومن خرق) [٢] .

هذا هو السلوك المثمر تجاه صروف الليالى ونوائب الدهر ويكون مخالفا لاتجاه علماء النفس الذين يطلقون على البعد عن الأفكار والذكريات المؤلمة كبتا وقمعا للمشاعر (نستطيع أن نفرق بين عمليتين : الكبت والقمع . أن القمع عبارة عن الاستبعاد الإرادى المؤقت للدوافع والذكريات المؤلمة من الشعور على حين أن الكبت لا يتضمن وعى الفرد بما يكبته من دوافع) [٣] .

فالقرآن الكريم لم يقمع العواطف ولم يكبتها فإن فاضت العيون وحزن القلب من الرضا بالقضاء فلا بأس فى هذا السلوك ففيه ثواب الصابرين فالصابر يقصد من وراء حبس النفس عن الجزع وجه الله تعالى فله الثواب . قال تعالى:﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك

---

[١] سنن أبى داود كتاب الجنائز باب الصبر عند الصدمة جـ ٣ ص ٩٢ ط . دار الفكر .

[٢] حلق : حلق شعره ، سلق : رفع صوته ، خرق : خرق ثوبه – سنن أبى داود كتاب الجنائز باب فى النوح الخدود جـ ٣ ص ١٩٤ ,

[٣] د . مصطفى فهمى فى كتابه علم النفس ص ١٣٤ .

لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ءابآئهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ [١] .

ينعت الله تعالى سلوك الصابرين بأن صبرهم هادف ، فهم يبتغون بصبرهم وجه الله تعالى لا يسلكون هذا المسلك من أجل ثناء الناس عليهم أو عيب الناس عليهم إذا جزعوا أو أنهم لا يظهرون الجزع والضجر مخافة شماتة الأعداء أو لا اعتقادهم عدم الفائدة فى الجزع والضجر . يقول الفخر الرازى:(إن الإنسان قد يقوم على الصبر لوجوه أحدها : أن يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على تحمل النوازل . وثانيها : أن يصبر لئلا يعاب بسبب الجزع وثالثها : أن يصبر لعلمه بأن لا فائدة فى الجزع) [٢] .

فالصابرون المحتسبون ينحون نحوا يخالف هذه الأمور ويسلكون سلوكا يبغون به وجه الله والرضا بقضائه . " ابتغاء " مفعول لأجله ويجوز أن يكون حالا بمعنى مبتغين والحال للدوام والاستمرار ، وهؤلاء أدوا الصلاة فى ميقاتها كاملة الأركان ولم ينس هؤلاء حقوق ذوى الحاجات فأدوا الزكاة إليهم ولم يحرموهم من الصدقات سرا وعلانية يتبعون السيئة بالحسنة لتمحو الحسنة السيئة أو يتخلقون بالخلق الحسن هؤلاء عاقبتهم المحمودة جنات عدن وجنات خبر مبتدأ محذوف تقديره هى " عدن " ومعنى عدن (" عدن " عدنت بالبلد : توطنته وبابه ضرب وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح ومنه " جنات عدن " أى جنات إقامة . ومنه سمى المعدن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء) [٣] .

فجنات إقامة دائمة لا فناء فيها ولا افتقار يدخلونها هم ومن صلح من أصولهم وهم الآباء وأزواجهم وذراريهم وهم الذين نهجوا نهجهم فى الصلاح والتقوى ومن عصى من الفرق الثلاث يغفر الله له كرامة لهؤلاء الصابرين لأنهم

---

[١] سورة الرعد آيات ٢٢ - ٢٤ .

[٢] مفاتيح الغيب جـ ٥ ص ١٩٩ .

[٣] مختار الصحاح للرازى ص ٥٠٥ مطبعة عيسى البابى الحلبى .

يسرون برؤية هؤلاء فى الجنة ولزيادة الأنس فى الجنة تداوم الملائكة بالسلام يقولون " سلام عليكم " وهذه الجملة الاسمية المفيدة للدوام المعبرة عن الاستمرار محكية لقول محذوف " بما صبرتم " الباء للسببية وهذا بيان لما انفرد به هؤلاء من الصبر فى الدنيا ثم يمدحون تلك الدار " فنعم عقبى الدار " فنعم الدار التى أعقبت دار الدنيا .

فالقامع مشاعره والكابت عاطفته فى نظر علماء النفس يتأثر فى صحته أما الصابر فإنه لا يقمع ولا يكبت ودموعه رحمة يودعها الله فى قلوب من يشاء من عباده وله الثواب .

جزاء الصابرين :

من ابتلى كان أهلا للجزاء الذى أعده الله للطائفة التى اختبرت فى عقيدتها فصبرت و احتسبت .

أولا : فى الدنيا :

المبتلى إن صبر نزلت عليه صلوات الله ورحمته فتهدأ عواطفه وتسكن جوارحه وتأسر جراحه وهو المهتدى إلى الحمد والاسترجاع قال تعالى : فى شأن الصابرين ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[1] .

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة " عبر الله تعالى باسم الإشارة الذى للجمع والبعد للدلالة على علو منزلتهم لدى الله تعالى . ولقد جمع الله الصلوات للدلالة على تنوعها وكثرتها لتشمل الثناء من الله عليهم وتشمل المغفرة من الله لهم وتشمل قوة التحمل التى يمنحها الله لهم ويدركهم لطف الله ورحمته فتصير نار المعصية بردا وسلاما .

---

[1] سورة البقرة آية ١٥٧ .

أولئك هم المهتدون " جملة أخرى أفادت معنى جديدا غير المعانى السابقة وهو عظم الهداية التى رزقهم الله بها فكلمة " أولئك " تدل على ذلك و " المهتدون " أى هم المهتدون إلى ما أمر الله به من الصبر كما قال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [١] .

فهذا الأسلوب أسلوب خبرى أريد به الأمر بالصبر والتقوى . والصبر من عزم الأمور أى من معزومات الأمور . يقول الجمل فى معنى هذه الآية (أى المعزوم عليه فيكون المراد منه كما قال الشيخ سعد الدين التفتازانى أما معزوم العبد بمعنى عزم الله أى أراد وفرض أن يكون ذلك ويحصل وأصله ثبات الرأى على الشئ إلى إمضائه وقال الإمام المرزوقى : إنه توطين النفس على الفكر ولذا لم يطلق على الله تعالى والمراد أن يوطنوا أنفسهم على الصبر فإن العالم بنزول البلاء عليه لا يعظم فى قلبه بخلاف غير العالم فإنه يعظم عنده ويشق عليه) [٢] .

ويقول أبو السعود:(" من عزم الأمور " من معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون أى مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالغ فيه يعنى أن ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لابد أن تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل : وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فافعلوا أو فقد صبرتم فإن ذلك .... ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صبر المخاطبين وتقواهم . فالجملة حينئذ جواب الشرط وفى إبراز الأمر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية من إظهار كمال اللطف بالعباد مالا يخفى) [٣] .

---

[١] سورة آل عمران آية ١٨٦ .

[٢] الفتوحات الإلهية جـ ١ ص ٣٤٤ .

[٣] من مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير العلامة أبى السعود جـ ٣ ص ٧ المطبعة العامرية الشرقية ١٣٢٤ هـ .

وقوله تعالى:﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [١] اقترنت اللام بحرف الجر من للتوكيد لأن هنا مع الصبر على الأذى غفران عن المسيئين فناسب هذا التوكيد وهو الإثبات باللام ويجوز أن تكون آية لقمان : المكروه الذى يبتلى به الإنسان من قبل الله تعالى والمكروه الذى يصاب به الإنسان فى آية الشورى .

قتل من قبل العبيد وهو ظلم ومع ذلك يصبر المبتلى ويغفر للمسئ إساءته فناسب هذا التوكيد (إن ذلك لمن عزم الأمور " قاله هنا بلامن التوكيد وقاله فى لقمان بدونها لأن الصبر على مكروه حدث بظلم كقتل أشد من الصبر على مكروه حدث لا بظلم كموت ولد كما أن العزم على الأول آكد منه على الثانى وما هنا من القبيل الأول فكان أنسب بالتوكيدوما فى لقمان من القبيل الثانى فكان أنسب) [٢] .

والمبتلون المحتسبون يخلف الله تعالى عليهم ويعوضهم خيرا من ذريتهم (عن أم سلمة أنها قالت:سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون-اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف الله له خيرا منها") [٣] .

جزاء الصابرين جزاؤهم يوم القيامة قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [٤] ولقد أفادت هذه الآية أن التوفية تكون يوم القيامة لأنه يوم الفصل والجزاء وهذه الآية تفيد أمورا وهى : -

١.أن التوفية واقعة لا محالة لأن الذى يعد بهذا هو الله وهو الذى لا يخلف وعده .

٢.أن هذا الثواب لا يحصى ولا يحسب لكثرته وعظمته لأن الشئ المتناهى هو الذى يحسب أما الذى لا يتناهى فهو غير محسوب أى دائم .

---

[١] سورة الشورى آية ٤٣ .

[٢] الفتوحات الإلهية جـ٤ صـ٧١ للجمل مطبعة عيسى البابى الحلبى .

[٣] صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة جـ٢ صـ٦٣٢ ط . أحياء الكتب العربية .

[٤] سورة الزمر آية (١٠) .

٣.أن هذه التوفية للصابرين فقط لا لغيرهم والقصر يوحى بهذا المعنى .

ولا يعترض بما ورد فى آية القصص بأن الصابرين يؤتون أجرهم مرتين . قال تعالى : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾[١]

فهذه الآية فى الرجل من أهل الكتاب الذى يؤمن بنبيه ويؤمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فله أجران " أجر على الإيمان برسوله وأجر على إيمانه بنبى الله محمد ﷺ. كما قال عليه السلام:(ثلاثة لهم أجران " رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل كانت عنده أمه فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران) [٢]

وسياق هذه الآية يعطى معنى قال تعالى : ﴿ الذين ءاتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾[٣] .

يقول الإمام جلال الدين السيوطى:(أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس : أن أربعين من أصحاب النجاشى قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا معه أحدا فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا : يارسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجئ بأموالنا نواسى بها المسلمين فأنزل الله فيهم " الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ....الخ) [٤] .

---

[١] سورة القصص آية ٥٤ .

[٢] صحيح البخارى كتاب العلم باب فضل من أدب جاريته وعلمها جـ١ ص٣٥ .

[٣] سورة القصص آية ٥٢-٥٤ .

[٤] أسباب النزول للسيوطى صـ١٦٣ مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر ١٩٦٣م

فلا تعارض بين الآية وبين آية الصبر التى تبين أنهم يوفون أجرهم بغير حساب

صبر لا ثمرة منه :

لقد ورد فى القرآن الكريم صبر عار عن الفائدة خال من الثمرة لا ثواب يجنيه صاحبه من هذا الصبر . يصور القرآن الكريم صورة حية عما يدور فى سواء الجحيم يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾ [١]

خرج أهل النار فى هذه الآية من دركاتهم إلى سواء الجحيم وعبر بالماضى فى برزوا وهو فى معنى الاستقبال لتحقق وقوعه لأن ما أخبر الله عنه حق وصدق وحينما التقى الضعفاء الأتباع بالمستكبرين المتبوعين فى الدنيا قال الضعفاء لهم انا كنا لكم تبعا . وكلمة تبعا جمع تابع كخدم وخادم فأتمرنا وتدرجنا على دربكم فهل أنتم دارئون عنا من هذا العذاب شيئا ؟ وهذا الاستفهام مراد به التوبيخ والتقريع فأجابهم المتبوعون قالوا لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم معنا ويجوز أن يكون المعنى لو هيأ الله لنا أسباب الهداية فى الدنيا وهدانا لهديناكم ولكن سلكنا طريق الضلالة فضللنا وأضللناكم ثم وجد المتبوعون والأتباع النار مطبقة عليهم ولا مفر منها قالوا مستوٍ علينا الجزع والصبر مالنا من محيص أى ملجأ ومهرب .

ولقد سوى هؤلاء بين الجزع والصبر لأنه لا ثمرة من وراء الصبر فهو والجزع(سواء)خبر مقدم وقوله(أجزعنا)مبتدأ مؤخر ويجوز العكس ويعطى تلك المعانى قوله تعالى : ﴿ اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعلمون﴾[٢]

---

[١] سورة إبراهيم آية (٢١)

[٢] سورة الطور آية (١٦) .

أيوب عليه السلام أسوة للصابرين :-

قال الله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وءاتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ [١] وقال تعالى : " واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب"[٢] .

ولقد ساق القرآن الكريم قصة أيوب التى تسببت بشدة البلاء وكثرة الرزايا فتكون تسلية للرسول-صلى الله عليه وسلم-واعتباره بها إنه كأن أشد بلاء وأكثر محنة فقبل البلاء كان كثيرا المال والجاه والعيال فابتلاه الله تعالى فى ماله ونفسه وأولاده .

وما كان ابتلاء الله تعالى له من الضر فى جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز غبره سليما سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شئ يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى .

فكانت تطعمه وتخدمه نحوا من ثمانى عشرة سنة وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاده فى سعة طائلة من الدنيا فسلب جميع ذلك .

فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر المقدور وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين) [٣]

---

[١] سورة الأنبياء آية (٨٣،٨٤) .

[٢] سورة صـ آية (٤١،٤٤)

[٣] تفسير ابن كثير مجلد ٧ص٦٥ دار الشعب ١٩٧١م .

قال رب " أنى مسنى الشيطان بنصب وعذابٍ وفى الآية الأخرى أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين " ولقد أسند الضر للشيطان وجعله فاعلا فى الآية الثانية يقول العلامة أبو السعود : (والإسناد إلى الشيطان إما لأنه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يعزه أى لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى اتباعه حتى رفضوا وأخرجوه من ديارهم أو أن المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس إليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك يكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل) [1] والذى أراه :

إنه أسند الضر للشيطان وكذلك مسه الضر تأدبيا مع الله تعالى أما ما ذكره العلامة أبو السعود من أنه أعجب بكثرة ماله أو إحجامه عن نصرة المظلوم فمثل هذا النبى يبعد أن يفتن بالمال لأن من شيمة الأنبياء الزهد فى الدنيا وأما تأخره عن نصرة المظلوم حين استقلت به فأرباب المروءات يأبون ذلك فهل يرضاه نبى على نفسه وهو قدوة للناس ؟

وأما الملك فيحتمل أن يكون دعاه لدينه وأبى . فعند ذلك يكون إثمه على نفسه فترك نهيه عن الشرك وداهنه لأنه لم يقف عقبة فى سبيل دعوته ولا بد أن يلتزم الباحثون الدقة فى تفسيرهم للآيات المتعلقة بالأنبياء وأن ينتقوا الألفاظ والمعانى التى تليق بالرسل فإن كان هناك روايتان رواية فيها اتهام لنبى من الأنبياء ورواية تبرئه فيجب الأخذ بالثانية وإن كان هناك شبهة حول سلوك واحد منهم يجب درء هذه الشبهة ولا نلتفت إلى أدلتها .

فالله سبحانه وتعلى ابتلى نبيه أيوب ولا يؤثر فى عقيدة عدم الوقوف على المدة التى لبث فيها فى البلاء فهى محل خلاف .

---

[1] مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير العلامة أبى السعود جـ٧ ص٥٧٥، ٥٧٦ .

السر فى عدم تصريح أيوب برفع البلاء :-

قال الله تعالى عن أيوب:" أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب"وقوله " أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين "

هذا دعاء أيوب الذى سبقته الآيات ولم يصرح برفع البلاء لما يأتى .

١.تلطفا فى سؤاله فهو نبى ويعرف مقامه من ربه فتلطف فى السؤال .

٢.التوكل على الله والاعتماد عليه حيث أسلم زمام أموره لله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء .

٣.الأدب مع الله وعدم التصريح برفع البلاء لأنه الذى أراد هذا البلاء .

النصب : التعب الجسمى :- والمراد بالعذاب الآلام النفسية التى كان يقاسيها من مرضه .

لما ضرع إلى الله تعالى أمره الله عز وجل وقال له : " أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " أى اضرب الأرض برجلك فنبع ماء دافئ للغسل وضربها ثانية فنبع ماء بارد وكلاهما شفاء من السقام الجسمية والنفسية أى من الظاهر والباطن هذا هو زوال البلاء من جسده ولقد رد الله تعالى إليه ذريته بعد تفرقهم فى البلاد قال تعالى:" ووهبنا له أهله ومثلهم رحمة منا وذكر لأولى الألباب " يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية قال الحسن وقتاده : أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم . (١)

لقد سمى الله تعالى عودة أولاده إليه هبة وعطية " وآتيناه أهله ومثلهم معهم " لأنهم كانوا فى عداد المفقودين وما قاله الحسن وقتاده ليس مرفوعا وليس موفقا للعقل حيث قال الله " ومثلهم معهم " فلما تفرقوا تزوجوا وأنجبوا وهم فى المقابر وعند عودة الأولاد كانت الذرية معهم ولو كانت بعدهم لأتى بنص يشير إلى ذلك .

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ٧ص٦٦ دار الشعب ١٩٧١م .

لقد برأه الله تعالى من البلاء وأعاد إليه الذرية رحمة به على صبره وثباته ورحمة مفعول لأجله وكذلك ذكرى لأصحاب العقول حتى يصبروا فى حياتهم على ما ألم وما يلم بهم من الرزايا .

وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث هذا علاج لموقف تال فيه أيوب عليه السلام مع امرأته رحمة بنت أفريم بن يوسف وقيل : لما بنت يعقوب وقيل : ما صبر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام وهذا الموقف (أن إبليس أتاها فى صورة طبيب فقال لها : إن زوجك قد طال سقمه فإن أراد أن يبرأ فليأخذ ذبابا فليذبحه باسم صنم بنى فلان فإنه يبرأ ويتوب بعد ذلك؟ فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الخبيث . لله على إن برئت أجلدك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فحظر عنها الرزق فجعلت لا تأتى أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذاك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الأشراف فأعطوها طعاما طيبا كثيرا فأتت به أيوب فلما رآه انكسر وقال : من أين لك هذا ؟ قالت عملت لأناس فأطعمونى فكل منه فلما كان الغد فخرجت وطلبت أن تعمل فلم تجد فحلقت أيضا قرنا فباعته من تلك الجارية فأعطوها من ذلك الطعام فأتت به أيوب فقال : والله لا أطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها محلوقة جزع جزعا شديدا فعند ذلك دعا ربه عز " وجل أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين [1].

لقد حفظت زوج أيوب ووقفت إلى جانبه حين غاب عنه أولاده وتخلت عنه عشيرته وأقسم أن يضربها مائة جلده : أفيكون جزاؤها الضرب والجلد إن لله تعالى جعل له نخلة ليعبث دون أن يحنث [2] فيه فأمره أن يأخذ ضغثا [3] فهى عبارة عن الحشيش الرطب فيها مائة عود فضربها و أصاب كل عود المرأة وهذا التوجيه ليبر بقسمه وهذه الرخصة رحمة بها وبه لحسن خدمتها ورعايتها له ورضاه عنها . " إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب " إنا وجدناه صابرا محتسبا على ما أصابه فى

---

[1] تفسير ابن كثير مجلده ص ٣٥٦ .

[2] الحنث : معناها هنا (الحلف فى اليمين) مختار الصحاح ص٦٠

[3] الضغث : (قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس) مختار الصحاح ص٦٢ .

نفسه وفى أولاده وماله . فصابرا حال أى وجده صابرا حال بلائه واختباره ثم مدحه الله تعالى بنعم وشرفه بكونه عبدا وانه أواب ، جملة مستأنفة تعليلية لجملة المدح السابقة وأواب كثير الرجوع إلى الله تعالى . وهى صيغة مبالغة أفادت أنه كلما تألم رجع إلى الله واحتسب دون ان يشكو لأحد .

السر النفسى وراء حث القرآن على الصبر :

يحيا الإنسان حياته وما من لحظة تمر عليه حتى يعتريه موقف فى حياته يقطع عليه سروره وهناءه إما من بيئته فلو لم يتخلق بالصبر أتعب نفسه وأتعب غيره ، وقد تصيبه الهموم .

فإن لم يتحل بالصبر لكان فريسة للأهوال والهموم ، فالتخلق به يجعل الإنسان فى عداد الرجال الذين لا تزعزعهم المصائب فلا تخور قواهم ولا تهن نفوسهم اتجاه موقف صعب فى حياتهم .

والله سبحانه وتعالى قد أمر بالتحلى به وبالاستغاثة به ولم يتخل عنهم قال تعالى: "يأيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين" [١]

فهو معهم يربط على قلوبهم فى دنيا الآلام ، وإن الصابر يعيش وقت بلائه على أمل فتهدأ نفسه هذا الأمل هو أن هذا البلاء يدفع الله به سيئات الصابرين فيغفرها ويمنحه حسنات . .

(عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من شئ يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة أو حطت عنه بها خطيئة) [٢]

ويوم القيامة يدخل دار السلام وهذا أمله الأسمى .

---

[١] سورة البقرة آية ١٥٣ .

[٢] صحيح مسلم كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن نحو ذلك حتى الشوكة يشاركها جـ٤ ص١٩٩٢ ط إحياء الكتب العربية .